درجات الخوف من الله

نتناول في هذه المحاضرة موضوع درجات الخوف من الله، وقبل البدأ فيه لا بد من ايضاح امر يتعلق بالمكروه .

فالمكروه تارة يكون مكروها لذاته وتارة لا يكون مكروها في حد ذاته وانما يكون مكروها بسبب غيره وبسبب ما يؤدي اليه من النتائج، فالمكروه لذاته مثلا البعد عن الله، المكروه لغيره مثل المعاصي والذنوب التي يرتكبها الانسان، فهذه تكون مكروهة لغيرها، وسواء كان الخوف عند المؤمن من المعاصي او كان خوفه من الدرجة العليا وهو انما يخاف من نتائج المعاصي اي من غضب الله سبحانه وتعالى ومن البعد عنه، فكلاهما امر مفهوم وكلاهما أمر وصحيح ايضا وان الغاية تحصل بسببهما، وكذلك المخوف، ما يخاف ويخشى منه، يتفاوت فيه الناس، فمنهم مثلا من يشتغل قلبه بالخوف من وجود النار، ومن العذاب، ومنهم من يكون خوفه ليس من النار ولا من العذاب وانما يخاف ان تفوته الجنة التي هي دار النعيم .

ومنهم ايضا إنما يخاف ان تكون درجاته في الجنة اقل من درجات غيره، ومنهم من لا يخاف ان تفوته الجنة او تنقص درجاته منها، او انه يخاف من النار ، انما يخاف من الله ذاته، وطبعا هذا هو خوف الأنبياء والاولياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين، وهذا معنى قوله سبحانه وتعالى (ويخوفكم الله نفسه) وقوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) ..

اما الخوف بالدرجات الاولى، او الخوف من الدخول في النار او الخوف من فوات الجنة أو نقصان الدرجات، فهذا يحصل باصل الايمان، اى ان من آمن بوجود الاخرة وبوجود النار ووجود الجنة، وآمن بالحساب والكتاب والعقاب والثواب لا شك انه يحصل في قلبه الخوف من دخول النار او يحصل في قلبه الخوف من فوات الجنة او الخوف من نقصان الدرجات في الجنة. وان الدرجة العليا من الخوف وهي خوف الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وخوف العلماء والاوصياء فانما يحصل بسبب معرفتهم لصفات الله سبحانه وتعالى، وكلما كانت المعرفة بالله اقوى كلما كان الخوف من الله اشد، انما يخشى الله من عباده العلماء، اى العلماء به فكلما ازداد الانسان علماً بالله كلما ازداد الخوف من الله.. يقول النبي صلى الله عليه و آله (من عرف الله خافه) ..

فاذن حتى هذا الخوف الذي يأتي من اصل الايمان ليس بمذموم، وهو محمود وهو نافع ومفيد ومؤد للغاية بقدر ما يحمل العبد من الايمان ويتفاوت الناس ايضا في درجات هذا الخوف، فكلما قوى ايمان العبد بالله سبحانه وتعالى وكلما قوي ايمانه بالعذاب وبالثواب وبالجنة والنار كلما اشتد خوفه ايضاً ويتفاوت سائر الخلق في هذا الخوف بسبب تفاوتهم في قوة الايمان وليس المقصود هنا من الايمان مجرد ان يجزم الانسان ان هناك جنة وهناك نار، ثم لا يظهر اثر هذا الايمان على سلوكه، فالايمان المقصود الذي يؤثر خوفاً في النفس هو الذي يظاهر السلوك ويوجه السلوك، أما مجرد اللقلقة باللسان بالايمان بالعذاب وبالثواب والكتاب والعقاب قد لا يؤثر خوفاً الا في فترات قليلة وصفها الله سبحانه وتعالى بقوله (كانوا لا يذكرون الله الا قليلاً) ولا شك ان جعل ذكر الله سبحانه وتعالى دائما وابداً بمنزلة الحاضر يسبب اشتعال القلب خوفاً، طبعاً اذا كان يعتقد ان الله سبحانه وتعالى يراه وهو في كل حالة ثم لم يخف منه وهو يرتكب المعصية أو لم يستح منه وهو يرتكب المعصية فقد جعله اهون الناظرين، فانه لو كان هناك أحد من اصدقائه او من سائر الناس البعيد منهم والقريب، كان حاضراً فبطبيعة الحال لا يرتكب هذه المعصية امامهم، يخاف من الشكوك في اعينهم ويخجل منهم، فاذا كان يؤمن بالله ويؤمن بانه اقرب اليه من حبل الوريد وانه مطلع عليه في جميع الاجوال، ثم لم يستح منه في ارتكاب تلك المعصية او لم يخف منه في ارتكابها ، طبعاً هذا الشخص لم يكن ذاكراً لله في تلك الحالة، كان غافلاً عن الله وناسياً لذكر الله، ومن الذين قال الله سبحانه وتعالى فيهم (نسوا ذكر الله) .

ان الايمان بالاخرة وبالجنة والنار ينبغي ان يوجه عمل الانسان المؤمن ويوجه سلوكه والا فلا يعتبر انه خائف من الله سبحانه وتعالى ..

وكذلك بالنسبة للعلماء فخوفهم يتفاوت بقدر علمهم بصفات الله وكلما اشتدت المعرفة بالله كلما اشتد الخوف بهم من الله سبحانه وتعالى، والقضايا المذكورة عن خوف الانبياء وخوف الائمة صلوات الله وسلامه عليهم وخوف الصديقين، هي مثبوته في سائر كتب المواعظ. ونذكر قضية قد رواها الامام الباقر عليه السلام عن امير المؤمنين عليهم السلام انه وعظ اهل الكوفة وعظاً شديداً حتى بكى وبكوا، ثم قال لقد شاهدت اقواماً على عهد الرسول صلى الله عليه واله كان بين اعينهم ركب البعير من خوفهم من الله يراوحون أقدامهم في عبادة الله، يقومون ليلهم يصومون نهارهم وهم مع ذلك خائفون وجلون لا يدرون ماذا يفعل بهم، ثم بكى بكاء شديداً، ولم ير مبتسماً صلوات الله وسلامه عليه حتى قبض، طبعاً هذا لم يكن بسبب خوفه عليه السلام بسبب النار او خوفه من ان تكون منزلته في الجنة اقل من منزلة غيره وانما خوف لذات الله سبحانه وتعالى، عظمت مهابته سبحانه في نفسه ومعرفته الحقيقة لصفاته سبحانه وتعالى فعظم الخوف في نفسه .. أليس هو القائل (لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً) طبعاً لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً بالله، لأن هذا هو مبلغ العلم الانساني بهذه الامور، فمثله (ص) لا شك يكون اعظم الناس خوفاً من الله وسائر الناس والعلماء يتفاوتون في الخوف من الله بقدر معرفتهم لله.. وهذه درجة عليا كما قلنا..

وبالنسبة للدرجات الدنيا فانه انما يقوى الخوف لدى الانسان بالجلوس مع الوعاظ ، والجلوس مع الخائفين ومع المتقين فان لم يتمكن فبالسماع من اقوالهم، فان السماع ايضاً لا يخلو من تاثير في النفس، ومحاسبة النفس

ومراقبتها لان الانسان بين امرين بين ذنب قد اذنبه، لا يدرى ماذا يفعل الله به ؟ هل يعفو عنه أو يعاقبه عليه، وبين ايام بقيت من عمره، لا يدرى هو ماذا يحدث فيها، هل يطيع الله سبحانه وتعالى فيها أو يعصيه فتزداد عليه الاثام، فالانسان اذا تذكر ذلك وانه بين ذنب قد تحقق فعله منه وبين ذنب يحتمل ان يقع منه لا شك انه سيعيش خائفاً وجلاً من الله سبحانه وتعالى، لانه لا يدرى ماذا يفعل الله به وليس لديه ما يجعله يطمئن على ان الله قد تاب عليه ورضى عنه.. على ان اصحاب الدرجة العليا تختلف اسباب خوفهم فمنهم من يخاف الخاتمة ومنهم من يخاف السابقة لان الاعتبار في هذه الحياة انما هو بالخاتمة ولا يعلم اى إنسان بماذا يختم له هل يختم له بالسعادة ام بالشقاوة ؟ فهو في خوف و في وجل دائم من حالة الخاتمة، على اى شيء ينتهي أمره ؟

ومنهم ايضاً اصحاب الدرجة الراقية وهم الذين يخافون السابقة، لأنه ما كان في الازل هو الذي يختم به فلا يعلم ماذا كان في الازل. وان الشقي ليسلك به في طريق المتقين حتى يظنه الناس انه منهم، بل يقال انه منهم، ثم يختم له بالشقاوة، وان السعيد ليسلك به في طريق الاشقياء حتى يظن انه منهم فيقول الناس انه منهم ثم يختم له بالسعادة .

ولقد روى الصادق صلوات الله وسلامه عليه ان النبي صلى الله عليه و اله خطب في الناس ذات يوم فقبض يده اليمنى ورفعها وقال اتدرون ما في يدى اليمنى ؟ قالوا الله ورسوله اعلم.. قال ان فيها اسماء اصحاب الجنة الى يوم القيامة بانسابهم وقبائلهم واسمائهم، ثم ضم يده اليسرى ورفعها وقال اتدرون ما في يدى اليسرى ؟ قالوا : الله ورسوله اعلم. قال ان فيها اسماء اهل النار باسماء ابائهم والقابهم وقبائلهم الى يوم القيامة ..

ان الخاتمة هي فرع للسابقة ومن منا يعلم ماذا اختار في عالم الذّر .. ومن منا يتذكر ما هو الطريق التي اختاره في عالم الذّر ؟ هل اختار طريق الهداية وطريق النجاة ليكتب له الهداية والنجاة ؟ ام اختار في عالم الذّر طريق الغواية والهلكة فيكتب له بالهلكة.. على ان ما قبل عالم الذّر اخفى، عالم الكتاب عالم الحسم والقضاء الذي لا مجال للبشر مهما ارتقت علومهم للتوصل اليه كائن ما هو كائن، بذلك جف القلم، هذا لا علم لأحد به.. فاذن الخاتمة انما هي نتيجة للسابقة..

يتبع في العدد القادم

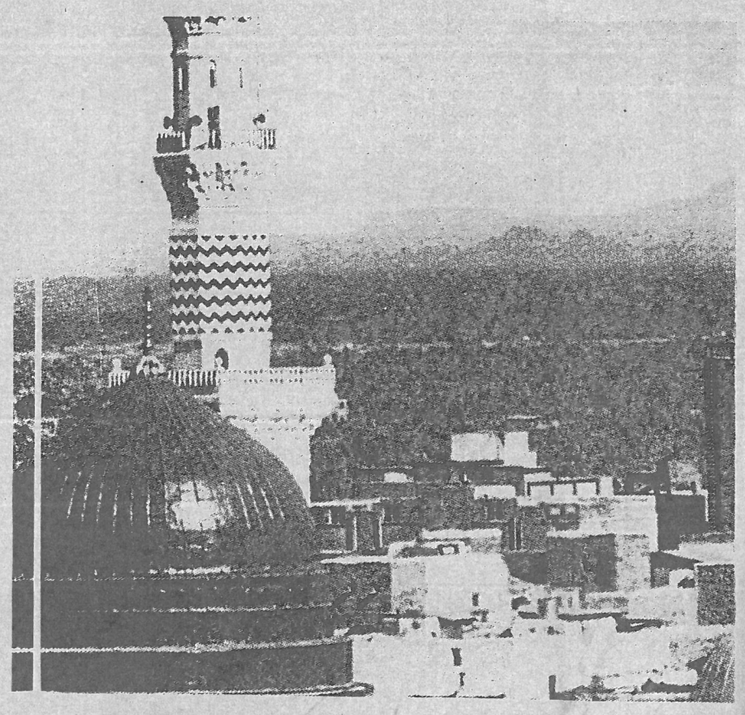

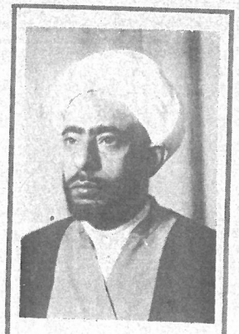

المحاضرة الثامنة والثلاثون لفضيلة الشيخ : سليمان المدني

كلما ازداد الانسان علما بصفات الله وقوى ايمانه به ازداد الخوف من الله

الخوف من الله درجات ، والدرجة العليا منه هي خوف الأنبياء والأوصياء والعلماء